وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد محمد لخضر – الوادي
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية قسم العلوم الإنسانية

**السداسي الثالث : تخصص تاريخ حضارات قديمة**

# مقياس محطات و موانئ تجارية في حوض البحر المتوسط

## المحاضرة السادسة : موانئ و محطات تجارية فينيقية

**إعداد : الدكتور العمودي التجاني**

ا-محطة ليكسوس : تعد محطة ليسكوس ( Lixus) من أبرز المحطات الفينيقية الباكرة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي بعد اجتياز الفينيقيين لأعمدة هرقل ، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ استرابون) Strabon) بقوله : "... إن الفينيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل، كانوا قد أسسوا ) مستوطنات على شواطئ البحر الخارجي بعد وقت قصير من حرب طروادة . "وتشير الكتاب تا التاريخية، إلى أن تأسيس هذه المحطة يعود إلى نهاية القرن الثاني .ق ،م و قد تم تأسيسها على يد البحارة الفينيقيين الذين قدموا من شرقي البحر المتوسط وهي بذلك معاصرة لمدينة قادس و سابقة لمدينة أوتيكا. وفي هذا الصدد، يقول المؤرخ بلينوس الكبير ) من جهته: " بأن مستوطنة ليكسوس يمكن أن تكون أقدم من قادس و أوتيكا ، و يستدل على ذلك بأن معبد الإله هرقل ( ملقارت ) في ليكسوس كان أقدم من مماثله في قادس .و بفضل وجود قادس في الطرف الجنوبي الغربي من إسبانيا و ليكسوس في الطرف الشمالي الغربي من القارة الإفريقية، تحكم الفينيقيون و القرطاجيون من بعدهم في بوابة الدخول الغربية للبحر المتوسط .وعلى هذا الأساس، لا يمكن أن نستبعد أن الغرض الذي أسست من أجله محطة ليكسوس كان استراتيجيا و تجاريا، ذلك أنها كانت تعتبر مع قادس بمثابة المفاتيح على المحيط الأطلس ،ي وقد استعان بها القرطاجيون خلال رحلة حنون إلى إفريقيا الاستوائية في القرن الخامس ق م .، وقد أنشئت المدينة على الضفة اليمنى لنهر ليكسوس ( نهر ذرعا القديم )، و الذي يصب في المحيط الأطلسي، مكونا بذلك خليجا صالحا للملاحة و ، تجدر الملاحظة إلى أن موقع ليكسوس الأثري حاليا يحتل مرتفعا يبعد بحوالي 4 كلم شمال مدينة العرائش، وقد عرفت ليكسوس في الماضي بمدينة تشميش ( Tichemiche ) أ ي مدينة الشمس .وقد بدأت التنقيبات الأثرية في بقايا مدينة ليكسوس منذ حوالي سنة 1845م على يد البعثة الألمانية التي كان يقودها العالم الأثري بارث (Barth) الذي استطاع أن يحدد معالم المدينة القديمة . وفي سنة1920م، تولت التنقيب في نفس المكان المشار إليه آنفا، بعثة إسبانية كان مركزها مدينة تيطوان، و لم تصل إلى نتيجة إلا بعد سنة 1948م عندما تولى الإشراف على التنقيب في مدينة ليكسوس العالم الأثري الإسباني ترادیل ( Tradelle)الذي استعمل )الطرق العلمية الحديثة في التنقيب، ثم تعمق في الحفر حتى بلغ الأرض العذراء .وعلى ضوء الدراسات المقارنة، يمكن أن نقول بحق أن محطة ليكسوس كانت من بين أهم المستوطنات الفينيقية، وكانت علاقتها بمحطة قادس أحسن بكثير من علاقتها بقرطاجة في بلاد المغرب القديم، ويمكن أن يكون السبب في ذلك هو قصر المسافة التي تربط بينها وبين الأولى .

ب- محطة أوتيكا :تشير المصادر الكتابية، إلى أن سليمان ملك العبرانيين، كان يزود الفينيقيين في شرق البحرالمتوسط بالمواد الغذائية، فكان على هؤلاء الأخيرين أن يبحثوا عن مراكز تمويل أخرى، فوجدوا ذلك متوافرا في سهول شمال تونس، فأسسوا بذلك مدينة أوتيكا التي تقع على الطريق إلى قادس .ويذكر المؤرخ استرابون ( Strabon ) من جهته، بأن الفينيقيين قد وضعوا يده م على أفضل الأماكن في شبه جزيرة أيبيريا، و في ليبيا قبل عصر هوميروس كما يذكر المؤرخ الإغريقي بلينوس ( ancien'l Pline ) ، أنه وجدت أخشاب أرز في عهده بمعبد الإله أبولون ( Apollon ) بأوتيكا، يعود تاريخها إلى سنة 1178 قبل حلوله بها ، علما بأن بلينوس قد ألف كتابه " التاريخ الطبيعي" حوالي سنة 77، م.ق وبذلك يكون من المحتمل جدا بأن تأسيس مدينة أوتيكا كان قد تم حوالي سنة 1101 م.ق .وفي معاهدة نسبت إلى أرسطو تشير إلى أن تأسيس مدينة أوتيكا ، كان قد سبق تأسيس مدينة قرطاجة بحوالي 287، سنة وهذا يتفق مع ما ذكره المؤرخ بل ني وس، هذا إذا كانت قرطاجة قد أسست فعلا في حوالي 814. ق م كما ورد في المصادر الكتابية القديمة .ولعل نتائج الأبحاث الأثرية المتواصلة في كل من أوتيكا و قرطاجة ستغطي هذه الفترة في المستقبل . استنادا إلى ما سبق، ندرك بأن الغرض الذي أنشئت من أجله أوتيكا قد يكون على الأرجح اقتصاديا و استراتيجيا، نظرا لموقعها على الطريق الرابطة بين صور و قادس أي ترشيش ، ومن جهة أخرى وقوعها في سهول شمال تونس الغنية بثرواتها الطبيعية .زيادة على ذلك، فقد كانت مدينة أوتيكا مركزا تجاريا التقى فيها في بداية الأمر التجار الفينيقيون بالسكان المحليين لبلاد المغرب القديم ، وقد تعزز مركزها بعد تأسيس مدينة قرطاجة رغم التنافس الذي كان بينهما فيما بعد .و ما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن التنقيبات الأثرية قد بدأت منذ وقت مبكر، إلا أنها حتى الآن لم تعط نتائج هامة فيما عدا بعض النصب التذكارية و الفخاريات التي تعود إلى حوالي القرن الثامن قبل الميلاد .

ومن أهم اللقى الأثرية التي عثر عليها في موقع أوتيكا، الجعران المصري الذي يعود على الأرجح إلى فترة الهكسوس بمصر، إضافة إلى بعض التمائم و اليد العاجية التي يعتقد بأن وجودها يسبق بداية الألف الأولى ق م. وعلى أية حال، فالنتيجة التي نستخلصها من دراستنا للبقايا المادية في مدينة أوتيكا، تشير إلى أن هناك ثغرة بين معطيات المصادر المادية، و معطيات المصادر الكتابية و تلك الثغرة لا تزال تنتظر الاستكمال بغية أن يتم الاتفاق حول تأسيس تلك المدينة . وخلاصة القول، أن مدينة أوتيكا كانت من بين المستوطنات الباكرة التي ساعدت البحارة الفينيقيين على خوض البحر المتوسط، و سهلت لهم فيما بعد تأسيس المستوطنات اللاحقة على سواحل بلاد المغرب القديم، لاسيما مدينة قرطاجة التي كان لها السيادة في الحوض الغربي للبحر المتوسط برهة من الزمن.

ج - محطة تيبازة : يعد موقع تيبازة ( Tipasa ) من المواقع الأثرية القديمة، التي نالت حظها من الدراسة و التنقيب على يد الكثير من الباحثين الأثريين، و هو ما ترتب عنه وضوح الرؤية فيما يخص التواجد الفينيقي البوني بها، الذي أصبح مؤكدا منذ القرن السادس قبل الميلاد بناءاً على اللقى الأثرية التي أبرزتها معاول المنقبين .ويلاحظ من جهة أخرى بناء على الدراسات التي تناولت موقع تيبازة ، أن اسمها لم يطرأ عليه أي تغيير، كما أنه كان سامي الأصل، وحسب ما ورد في المصادر الكتابية القديمة فإن البحارة الفينيقيين كانوا قد نزلوا بها لأغراض تجاري ،ة وذلك نظرا لسهولة شاطئها و ملاءمته لبدائيتهم في التعامل مع البحر، حيث يسهل عليهم جر قواربهم البسيطة إلى)اليابسة ليلا أو عند الاستراحة من عناء التجديف اليومي .لقد كانت مدينة تيبازة تمثل خلال العهد القرطاجي محطة للتبادل التجاري بين الفينيقيين و الليبيين القدماء، كما كان ميناؤها أيضا يستعمل لصيد الأسماك .وقد استنتج الباحث سينتاس ( Cintas ) أثناء دراسته لمحطة تيبازة البونية، بعد المسافة التي تفصلها عن بقية المستوطنات التجارية الأخرى، سواء من الجهة الشرقية أو من الجهة الغربية، و قد توصل إلى أن المسافة التي تفصل أية محطة تجارية في بلاد المغرب القديم عن التي تليها لا تتجاوز إبحار يوم كامل ، وذلك ما يقدر بحوالي ثلاثين إلى خمسين كيلومترا .ومهما يكن، فإن محطة تيبازة تعد من المواقع الأثرية التي كانت رائدة في اللقاءات الباكرة بين التجار الفينيقيين و المغاربة القدماء، بدليل مخلفات القبور الموجودة بالقرب من المرتفع الذي أقيم فيه المنار في وقتنا الحالي ، وتوسطها بين أيكوزيوم (Icosium ) (الجزائر العاصمة) و أيول ( Iol ) (شرشال) ، التي ستصبح فيما بعد عاصمة موريطاني القيصرية وقد عثر فيها على نقيشة مسيبسا الأثرية .

د - محطة قورايا : يعتبر موقع قورايا ( قونوقو gunugu ) (قبة سيدي إبراهيم حاليا) من بين المواقع الهامة التي لعبت دورا لا يستهان ب خه لال العهد البوني بصفة خاصة .فعلى مسافة 33 كلم إلى الغرب من شرشال الحالية، أنشئت محطة قورايا التي يستنتج من بقاياها الفخارية بأن القرطاجيين كانوا قد امتزجوا فيها بالسكان المحليين، و أن عادة دفن جثة الميت لدى سكانها كانت تتم وفقا للطريقة الشرقية التي كان يتبعها الفينيقيون، وهذا ما يؤكد حقيقة الامتزاج الحضاري بين الشعبين الفينيقي و المغاربي .وقد كشفت الحفريات الحديثة التي أجريت فيها على ثلاث مقابر بونية أرخ لبعضها السردابية بحوالي القرنين الثالث و الرابع قبل الميلاد .

## هـ- محطة رشقون:

تعد جزيرة رشقون ( Rachgoun ) من أقدم المحطات الأثرية البونية التي عثره محطة رشقون :عليها في السواحل الجزائرية، وذلك نظرا لفخارياتها العائدة إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد .

تقع محطة رشقون في عرض الخليج الذي يصب فيه وادي التافنة، ولا تبعد عن اليابسة إلا مقدار 2 كلم ، ولا تزيد مساحتها على 15 هكتار .وقد كشفت الحفريات التي قام بها فويمو ( Vuillemot ) عند مراكز تجمع سكاني يتوسط المرتفع الموجود في الجزيرة، ضف إلى ذلك الكشف عن مقبرة بونية ثبت بعد تقص و دراسة للفخاريات التي عثر عليها في الطبقات السفلى للجزيرة بأن هناك تقارب بينها وبين تلك التي عثر عليها في كل من صقلية و أوتيكا و قرطاجة . ومهما يكن،فإن محطة رشقون لازالت لم تنل حظها من الدراسة كغيرها من المحطات التجارية البونية في الجزائر، و هي تنتظر مجهودات مكثفة تضاف لتلك التي بذلت، بغية الكشف عن مدى امتزاج الحضارة الفينيقية البونية بالحضارة المغاربية في ذلك الزمن المتقدم . نستخلص من كل ما سبق، أن عوامل التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط قد تمثلت في مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية، و أخرى اجتماعية، والحقيقة أن كل هذه العوامل تفاعلت فيما بينها و خلقت جوا ساعد الفينيقيين على الهجرة إلى سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط وتأسيس محطات آلت فيما بعد إلى محطات تجارية ثابتة . وقد اعتمد الفينيقيون في أسفارهم على القوارب وسفنهم المختلفة، التي كانت تشق عباب البحر المتوسط، وتنقسم إلى سفن تجارية وأخرى حربية، التي كانت في الأصل من نوع واحد، ثم تطورت مع تطور الحروب بين الشعوب، و بالتالي انفصلت السفن التجارية عن السفن الحربية . ومن بين المحطات الباكرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، نجد محطة ليكسوس على سواحل المحيط الأطلسي و أوتيكا التي تقع على الطريق المؤدي إلى قادس، إضافة إلى محطات أخرى تقع على الشريط الساحلي الجزائري، كمحطة تيبازة، ومحطة قورايا، ومحطة رشقون، وهذا ما يؤكد الامتزاج الحضاري بين الشعبين الفينيقي و المغاربي.